الفصل الرابع

دورة الأسرة في تحقيق التربية المتكاملة والمتوازنة للقائد الصغير

من المتوقع – بعد قراءة هذا الفصل – أن يتمكن القارئ الكريم من معرفة وفهم واستيعاب الآتي:

- أولاً: خصائص مرحلة الطفولة المبكرة
- ثانيا: دور الأسرة في تحقيق التربية المتكاملة للقائد الصغير

الفصل الرابع

دور الأسرة في
تحقيق التربية المتكاملة والمتوازنة للقائد الصغير

"يكون الشعور الاجتماعي ملازما لشعور الذات، وتكون الجماعة الأولية (الأسرة) هي مهد الشخصية وأداة الإبداع للطبيعة الإنسانية"

(كولي)

مقدمة

إن الأسرة تحظى بمكانة تربوية كبيرة بين المؤسسات الأخرى، باعتبارها مؤسسة تربوية غير نظامية، يتعامل معها الطفل، وهي البيئة الثقافية التي يكتسب منها الطفل لغته وقيمه، وتؤثر في تكوينه الجسمي والنفسي والاجتماعي والعقائدي. ولا يمكن أن تتحقق التربية المتكاملة للطفل، إلا إذا بدأت من الأسرة، كونها اللبنة الأولى التي ينشأ فيها الطفل، وأساس المجتمع المترابط، الذي بني من أول لحظة، على التوافق والتراحم والانسجام والتشارك في الحقوق والواجبات. أما التربية "المتوازنة" فهي فعلا تلك التربية التي تأخذ من مميزات كل نوع من أنواع التربية وتتفادى عيوبها قدر الإمكان، فتوازن بين العطاء والتدليل، وبين القسوة والحزم، وبين السيكولوجية والوجدان، في إطار شامل للدين ودرجة مقبولة من المرونة التي تسمح ببناء شخصية الابن بشكل سوي قدر الإمكان، والتي توفر عنصر الاحترام والمصداقية والمرجعية الناضجة.

والأسرة مسئولة عن حفظ النوع الإنساني، وتوفير الأمن والطمأنينة للطفل، وتنشئته تنشئة ثقافية تتلاءم مع مجتمعه، وتحقق له التكييف الاجتماعي.

كما أن الأسرة تقوم بعملية التطبع الاجتماعي للطفل باعتبارها، كمؤسسة اجتماعية، تمثل الجماعة الأولى للفرد، فهي أول جماعة يعيش فيها الطفل ويشعر بالانتماء إليها وبذلك يكتسب أول عضوية له في جماعة يتعلم فيها كيف يتعامل مع الآخرين في سعيه لإشباع حاجاته وتحقيق مصالحه من خلال تفاعله مع أعضائها بغرس آداب السلوك المرغوب في الطفل، وتعويده على السلوك وفق أخلاقيات المجتمع.

ومن هذا المنطلق، فإن دور الأسرة في تربية القائد الصغير لا يماثله دور أي مؤسسة تربوية أخرى لما لها من أثر في تشكيل شخصيته تشكيلاً يبقى معه بعد ذلك بشكل من الأشكال.

وهذا ما أكد عليه علماء النفس والتربية بأن مرحلة الطفولة المبكرة من أهم مراحل حياة الإنسان، إذا تعتمد عليها مراحل النمو التالية في حياته، بل إن بعض المربيين يرى أن أثر الأسرة ترجح كفته عن أثر عوامل التربية الأخرى في المجتمع، وأن آثارها تتوقف على الأسرة فبصلاح الأسرة تصلح آثار العوامل والوسائط التربوية الأخرى وبفسادها وانحرافها تذهب جهود المؤسسات الأخرى هباء. وحتى تتمكن الأسرة من القيام بدورها التربوي لا بد من إعدادها بشكل سليم.

ومن هذا المنطلق، فإن التربية المتكاملة تعنى بالجوانب الجسدية والعقلية والنفسية والاجتماعية من شخصيّة القائد الصغير ؛ لأن الشخصية هي مجموعة من الصفات الجسدية والنفسية (موروثة ومكتسبة) والعادات والتقاليد والقيم والعواطف متفاعلة كما يراها الآخرون من خلال التعامل في الحياة الاجتماعية.

فالتربية المتوازنة والمتكاملة، التي ينتج عنها قوّة الشخصيّة وحرية الإرادة، والاعتماد على الذات، والتفكير السليم، لا يمكن أن تتمّ إلاّ في ظروف تربوية صحيّة ومواقف عملية إيجابية. فكلّ احترام للطفل وما يتبع ذلك من حسن المعاملة والتعامل، يعدّ عاملاً

أساسياً وضرورياً في بناء شخصية القائد الصغير المستقبلية المتكاملة، والقادرة على التكيّف والعطاء.

وهذا يدعونا أن نطرح السؤال التالي: هل بناء شخصية القائد الصغير وإعدادها يرتبط بالوراثة أم بالبيئة والتربية؟

أثبت الدراسات الحديثة أنه ليس للوراثة وحدها تعود صفات الطفل وقدراته وأنماط سلوكه، بل الدور الحاسم للتربية الأسرية والمجتمعية والمدرسية– بما فيها من مؤثّرات ومعزّزات – تشكّل الطفل وفق الصفات التي تحملها وتوجّهها، لتجعل منه شخصيّة إيجابية أو سلبية، وذلك تبعاً لطبيعة هذه المؤثّرات وفاعلية المعزّزات الملحقة بها. وهذه التربية لا تقتصر على زمان ومكان محددين، بل إنها مستمرة استمرار الحياة.

وهذا يؤكد على أن النمو السليم، هو الذي يحقّق التوازن بين هذه الجوانب– الجسدية والعقلية والنفسية والاجتماعية –، وإن كان أحدها يسبق في نموّه الجوانب الأخرى لأسباب متعدّدة؛ منها ما يتعلّق بطبيعة الكائن / الفرد، العضوية والنفسيّة، ومنها ما يتعلّق بالبيئة الاجتماعية / الأسرية المحيطة به. ولكنّ نموّ أي جانب، يؤثّر في الجوانب الأخرى ويتأثّر بها.

وبناء على ما سبق، فالنموّ الاجتماعي أو الوجداني مثلاً، يساير النموّ العقلي ويؤثّر فيه؛ وذلك لأّن الطفل الذي يعيش في بيئة أسرية يسودها الأمن والاستقرار، ينمو بشكل طبيعي على المستوى الاجتماعي، وهذا يؤثّر بالتالي في نموّه العقلي بصورة إيجابية، والعكس صحيح أيضاً.

وفي المقابل، فإنّ الأسرة التي يتمتّع فيها الوالدان برحابة الصدر، وإخضاع كلّ أمر للمناقشة بروح وديّة واحترام متبادل، يتميّز أبناؤها بنموّ وجداني وعقلي سليم ومتوازن، يمكّنهم من التكيّف الاجتماعي فيما بعد، والتفكير الصحيح وإبداء الرأي تجاه القضايا الحياتية المختلفة.

"إن التمثيل الاجتماعي يحسّن النمو اللغوي عند الأطفال، بما فيهم المعاقين سميلانسي

أولا : خصائص مرحلة الطفولة المبكرة

تتميز مرحلة الطفولة المبكرة، بخصائص جسمية وعقلية وانفعالية واجتماعية وخلقية، تنفرد بها عن المراحل النمو الأخرى، ولا بد من الاطلاع على خصائص مرحلة الطفولة المبكرة، لمساعدة الآباء على تقويم سلوك الأطفال وتعديله، ومعرفة كيفية التعامل معهم، وتوجيههم التوجيه السليم، لكي نرقى بشخصية الطفل القائد وتسوية بناءه الإنساني، ومن أهم هذه الخصائص:

1- خصائص النمو الجسمي والحس حركي

أكدت العديد من الدراسات على العلاقة بين نظام التغذية في هذه المرحلة وسمات التكوين الجسمي في المستقبل من ناحية السمنة حيث أشارت هذه الدراسات إلى أن المبالغة في تغذي الطفل في هذه المرحلة تؤدي إلى زيادة في حجم الخلايا الدهنية في النسيج الدهني بصورة مزمنة، وتظهر أعراضها عليه، مما يجعل الأمر من الصعوبة بمكان التخلص منها في مرحلة البلوغ. فالطفل في هذه المرحلة يحتاج إلى غذاء ومسكن وهواء نقي خالي من التلوث بكل أشكاله – التلوث البيئي، التلوث الغذائي، التلوث السمعي، التلوث الهوائي – لأن لها تأثير سلبي بيولوجيا ونفسيا وعقليا على الطفل الرضيع خاصة الطفل الذي يعتمد في تغذيته على بدائل الصناعية.

وعليه فإن الأسرة مطالبة بأن تكون واعية لاحتياجات أطفالها وتوفيرها لهم الحد الأدنى من الظروف المعيشية، مثل مصدر الدخل المضمون والمسكن المستقر والخدمات الصحية والتعليمية والاجتماعية لأن السنتين الأوليتين من عمر الطفل تشهد نموا كبيرا في المهارات الحركية المتصلة بالعضلات الكبيرة التي تمهد الطريق لنمو العضلات الدقيقة، ولن يحدث هذا للطفل إذا كان يعيش في مسكن يخلو من البيئة الواسعة والمساحات المفتوحة والهواء النقي كما هو الحال الذي يعاني منه أطفال وسكان المدن الذين لا تتوفر

لهم هذه الأمور إلا بالاشتراك في الأندية والحدائق العامة بحدود ضيقة نوعا ما، بخلاف أطفال القرى.

ولكي ينمو الطفل بشكل صحيح وسليم لا بد من توفير الجو الملائم لنومه من ناحية الهدوء والإضاءة، لأنها مهمة لنمو الطفل وسلامة صحته الجسمية وعدم إغفال جانب النظافة بأشكالها المختلفة وتنظيم مواعيد الغذاء له.

هذا بالإضافة إلى العناية بسلامة حواس الطفل التي من خلالها يتفاعل مع البيئة المحيطة به، فعن طريق الحواس كالإبصار يدرك الطفل المثيرات المختلفة التي تساعده على التفاعل معها وتكوين المفاهيم العلمية وإدراك الأشياء التي يستطيع إدراكها في هذه المرحلة. فالحواس تعتبر وسيلة اتصال الطفل بالعالم الخارجي من حوله.

في الواقع، مسئولية الوالدين مضاعفة، حيث يجب عليهم التأكيد على الأنشطة البدنية والحركية للطفل في المنزل، إضافة إلى مراقبتهم للأنشطة البدنية التي تقدمها الحضانة أو المدرسة للطفل طالما كان ذلك متيسراً لهم.

ومن هذا المنطلق، يجب أن يهتم الوالدين بالشروط الفيزيقية (الجسمية) التي ربما تحدد حركات الطفل وقدرته على المشاركة في الأنشطة البدنية، فمعظم الرياض والمدارس تطلب من الوالدين تقرير طبي عن حالة طفليهما. وتقع على الوالدين مسئولية التأكد من حداثة هذا التقرير وإبلاغه لإدارة المدرسة وللمعلمين الذين يتعاملون مع الطفل.

فمن الملاحظ الآن، أن السمات العامة للحياة الأسرية هي انهماك الآباء في أعمالهم والتي تستغرق منهم معظم أوقات يومهم، وكذلك خروج الأم إلى مجالات العمل المختلفة والذي يستغرق منها أيضاً معظم أوقات نهارها.

مقترحات لبعض الأنشطة الحركية البسيطة لتنمية جسد الطفل/ القائد الصغير:

يجب على الوالدين الاحتفاظ بسجل بسيط يشمل تطور نمو الطفل جسمانياً، وفي كل عام، في يوم عيد ميلاد الطفل، يدون في السجل: وزن الطفل وطوله، كما يمكن أن تختار

أحد حوائط المنزل ونجعل الطفل يقف أمامها وهو منتصب القامة ثم نضع علامة على الحائط تشير إلى طول الطفل، وندون بجوارها تاريخ قياس هذا الطول، فالطفل يجب أن يشاهد مقدار النمو الذي حدث لطوله من آن لآخر.

وعند وقوف الطفل بجوار الحائط، لقياس طوله، ندعه يعدّ عدد المرات التي يستطيع أن يقفز فيها لأعلى أو ينخفض لأسفل واقفاً على أطراف أصابعه كذلك تستطيع الأسرة أن تخصص وقتاً يومياً لرياضة المشي العائلي وليكن لمدة 15 دقيقة يومياً في موعد مناسب وشبه ثابت، وفي أيام العطلات والأجازات يمكن أن تتسع مدة المشي لتصل إلى ساعة أو أكثر، ويتوقف ذلك على عمر الطفل وطاقته المتاحة.

كما يمكن استغلال وقت المشي في التفاعل والدردشة بين الوالدين والطفل وأشقائه، وهناك الكثير من الأنشطة الحركية البسيطة التي يجب أن يمارسها الطفل مثل: المشي السريع، والجري، والقفز البسيط، والقفز لأعلى، والتسلق... وجميعها هامة ومؤثرة في النمو الجسم حركي للطفل، كما أن كل نشاط من الأنشطة السابقة يمكن أن ينمى مجموعة مختلفة من العضلات المستخدمة في كل نشاط.

ويمكن استخدام لعبة الكراسي لجلوس الطفل ووقوفه عدد من المرات، كما يمكن رص الكراسي بحيث تسمح للطفل بالقفز عليها، وتسجيل عدد المرات التي يمكنه فعل ذلك. ولا ننسى لعبة نط الحبل للجنسين، وفائدتها في تنمية الحركات الدقيقة لدى الطفل، وقدرته على التحكم والاتزان، وتنمية جميع عضلات جسمه.

2- خصائص النمو اللغوي

تلعب اللغة دور هاما في حياة الطفل بصفة خاصة والراشد بصفة عامة، فعن طريق اللغة يستطيع الإنسان أن يعبر عن أفكاره ورغباته وميوله، كما أنه من خلالها يستطيع فهم البيئة المحيطة به وكذا التواصل الاجتماعي مع الآخرين. وتتميز مرحلة ما قبل المدرسة بسرعة النمو اللغوي، تحصيلا وتعبيرا وفهما.

لذا يعتبر النمو اللغوي للطفل جزءاً هاما للنمو العقلي والتطور المعرفي لدى الطفل

للارتباط الوثيق بين اللغة والتفكير، فمن خلال اللغة يعبر الطفل عن نفسه ومدى التوافق الشخصي والاجتماعي.

وبناء على ما سبق، يعد النمو اللغوي من مطالب النمو العقلي في هذه المرحلة من حيث معرفة أكبر قدر ممكن من المفاهيم والمفردات واستخدامها وربطها مع بعضها البعض في جمل ذات معنى، كما يتأثر النمو اللغوي للطفل بكمية الخبرات ونوعية المثيرات التي يتعرض لها وهذا يؤدي إلى سرعة فهمه للعالم المحيط به. فالطفل الذي يكون صورة ذهنية بفعل المثيرات الحسية في بيئته، يحتاج إلى لغة لتنظيم الملاحظات الحسية الأولية وتحديدها ومن ثم تثبيتها ونقلها للغير عند تفاعله مع الآخرين وهذا ينعكس على نمو تفكير الطفل بصورة ايجابية بفضل العلاقات الاجتماعية، إذ أن سماع كلام الآخرين أو رؤيته مكتوبا يشكل باعث عند الطفل على التفكير الاجتماعي الذي يتبعه والتعبير الاجتماعي يكون اللغة عنده.

وبكل تأكيد، فقدرة الطفل في هذه المرحلة على التعبير عن أفكاره محدودة وتكون عادة جمل بسيطة وبدائية وقصيرة وبذلك نجد أن النمو اللغوي للطفل له أهمية خاصة يساعد على فهم كيفية نمو الطفل ومن خلال اللغة والقدرة على التعبير والكلام ندرك مدى النمو الجسمي وسلوكه الاجتماعي واستجاباته العاطفية.

وتأسيساً على ما سبق؛ يتسم طفل ما قبل المدرسة بالخصائص والسمات اللغوية التالية:

- التمركز حول الذات.
- يغلب على لغة الأطفال المحسوسات.
- يغلب على لغة الطفل عدم الدقة والوضوح.
- تقديم المتحدث في الجمل الخبرية.
- اختلاف وقصور مفاهيم الأطفال، وكلماتهم، وتراكيبهم عما هي عليه عند الكبار.

وهكذا يتضح أن هذه المرحلة هي أسرع مرحلة نمو لغوى تحصيلا وتعبيرا وفهما، وتعرف هذه المرحلة "بالعصر الذهبي للغة في حياة الطفل"، فهو يلتقط كل جديد من الكلمات، ويحاول جاهدا أن يكرر كل ما يسمعه كما أن الأسئلة في هذه المرحلة اللغوية

تتميز بالكثرة. فقد أشار البعض إلى أن حوالي 10 – 15٪ من حديث الطفل في هذه المرحلة يكون عبارة عن أسئلة، بل إن الأسئلة وحب الاستطلاع تساعد على اتساع الحصيلة اللغوية للطفل.

3- خصائص النمو الانفعالي والاجتماعي

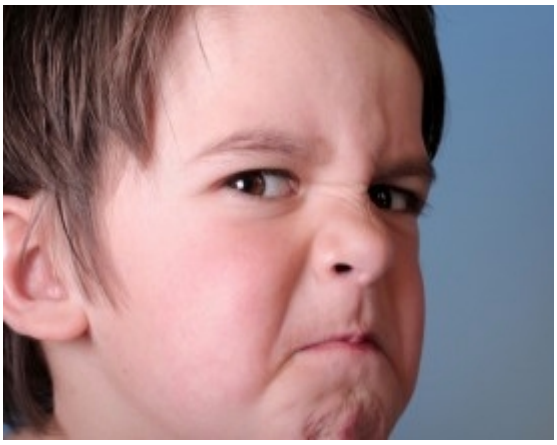

يؤكد إريكسون على أن النمو الإنساني هو حصيلة التفاعل بين العوامل البيولوجية الغريزية، والعوامل الاجتماعية، وأيضا فاعلية الأنا. ومن خلال هذا التفاعل تنمو شخصية الفرد من خلال ثمان مراحل متتابعة، يظهر في كل منها أزمة أو حاجة يؤدي حلها إلى نمو الأنا وكسب فاعلية جديدة في حين يؤدي الفشل في حل هذه الأزمات إلى اضطراب النمو وتحديدا نمو الأنا، وهى كما يلي:

الثقة الأساسية مقابل عدم الثقة – الأمل

الإحساس العام بالثقة هو حجر الأساس للشخصية الصحية عند إريكسون. والطفل الذي لديه ثقة أساسية داخلية يرى العالم الاجتماعي عالمًا آمنًا ومكانًا مستقرًا ويرى الناس عطوفين موثوقًا بهم. إن هذا الإحساس بالثقة واليقين يكون خلال هذه الفترة شعوريًا إلى حد ما. ويرى إريكسون أن مدى قدرة الطفل الصغير على اكتساب الإحساس بالثقة في الآخرين وفي العالم يتوقف على نوعية رعاية الأسرة له.

الإحساس بالاستقلال الذاتي مقابل الخجل والشك – قوة الإرادة

إن اكتساب الإحساس بالثقة يهيئ المسرح لاكتساب الإحساس بالاستقلال الذاتي وضبط الذات. ووفقًا لما يراه إريكسون يكون لدى الطفل في هذه المرحلة الخيار بين الاحتفاظ والترك.

المبادأة مقابل الشعور بالإثم ـ الغرض

إن المبادأة مقابل الشعور بالإثم هو الصراع النفسي الاجتماعي الأخير الذي يخبره الطفل، أي الذي يخبره خلال الفترة التي يسميها إريكسون سن اللعب. وفي هذه الفترة يجد الطفل تحديًا من عالمه الاجتماعي لكي يكون نشطًا، ولكي يتقن الأعمال الجديدة والمهارات، ولكي يكتسب موافقة الآخرين على أنه منتج.

الاجتهاد مقابل القصور ـ الكفاءة:

تقع مرحلة النمو النفسي الاجتماعي الرابعة في الفترة من 6 سنوات إلى 11 سنة من عمر الطفل (وهي سن المدرسة). وهنا ولأول مرة يتوقع من الطفل أن يتعلم المهارات الأولية لثقافته عن طريق التعليم الرسمي (يتعلم القراءة والكتابة والتعاون مع الآخرين للقيام بأنشطة محددة) وترتبط هذه الفترة من حياة الطفل بتزايد قدراته على الاستدلال الاستنباطي وضبط الذات، وكذلك بقدرته على أن يرتبط بأترابه وفقًا لقواعد سبق تحديدها.

المراهقة – هوية الأنا مقابل تميع الدور – الولاء والإخلاص

المراهقة هي المرحلة الخامسة من دورة الحياة عند إريكسون ولها أهميتها في نمو الفرد النفسي الاجتماعي. في هذه المرحلة لم يعد الفرد طفلاً ولم يصبح راشدًا (من سن 12 إلى 20) وفيها يواجه المراهق مطالب اجتماعية مختلفة وتغيرات أساسية في الدور لمواجهة تحديات الرشد. يرى إريكسون أن البعد النفسي الاجتماعي الجديد الذي يظهر خلال المراهقة إما أن يكون إحساسًا بهوية الأنا، إذا كان موجبًا، أو إحساسًا بتميع الدور إذا كان سالبًا. إن إخفاق الشباب في تنمية هوية شخصية بسبب خبرات الطفولة السيئة والظروف الاجتماعية الحاضرة يؤدي إلى ما يسميه إريكسون أزمة الهوية. إن أزمة الهوية أو تميع الدور كثيرًا ما يتميز بعجز عن اختيار عمل أو مهنة أو عن مواصلة التعليم.

الألفة مقابل العزلة ـ الحب:

إن المرحلة السادسة من دورة الحياة تمثل البداية الرسمية لحياة الرشد، (أي من سن 20 إلى 24 سنة) وخلال هذه الفترة يوجه الراشدون أنفسهم عادة نحو إتقانهم لعمل أو

مهنة ونحو الاستقرار. ويرى إريكسون كما فعل فرويد أن الشخص في هذه الفترة يكون مستعدًا استعدادًا حقيقيًا للألفة الاجتماعية والارتباط مع شخص آخر. مصطلح الألفة عند إريكسون كثير الأبعاد من حيث المعنى والمجال، وهي يعني الألفة والمودة التي يشارك فيها معظمنا. وهو على أية حال يتحدث عن المودة والألفة مع الذات، أي قدرة الفرد على أن يدمج هويته مع شخص آخر دون تخوف من فقدان شيء من ذاته.

الإنتاجية مقابل الركود ـ الرعاية

تتطابق المرحلة السابقة من مراحل النمو عند إريكسون مع أواسط العمر (من سن 25 إلى 65) وتضم ما يصفه إريكسون على أنه الإنتاجية مقابل الركود والعقم. ويعتبر الشخص منتجًا حين يبدأ في الاهتمام بالصالح العام للجيل التالي، ليس ذلك فحسب، بل وأيضًا حين يهتم بالمجتمع الذي سوف يعيش فيه ذلك الجيل ويعمل. وينبثق من الأزمة النفسية الاجتماعية للإنتاجية فضيلة الرعاية وتنشأ الرعاية من الإحساس بأن شيئًا أو شخصًا يهمك.

تكامل الأنا مقابل اليأس ـ الحكمة

والمرحلة الأخيرة هي المرحلة التي يتأمل فيها الأفراد جهودهم التامة وإنجازاتهم الكاملة، وهذه المرحلة تعني في كل الثقافات بداية الشيخوخة، وهو زمن تكتنفه كثير من المطالب والتوقعات وذلك بسبب تدهور القوة الجسمية والصحية، والتقاعد ونقصان الدخل وموت الزوج والأصدقاء المقربين والحاجة إلى تكوين روابط جديدة مع جماعة الفرد العمرية، وخلال هذه الفترة يحدث تحول واضح في اهتمام الشخص من المستقبل إلى الحياة الماضية.

ويرى اريكسون أن هذه المرحلة الأخيرة من الرشد لا تتميز بظهور أزمة نفسية اجتماعية جديدة بل تجميع وتكامل وتقويم كل المراحل السابقة لنمو الأنا.

ومن أبرز **سمات النمو الانفعالي لطفل مرحلة ما قبل المدرسة**، الشعور بالقلق والخوف وما ينتاب الطفل من نوبات غضب، وإحساس بالغيرة، والحساسية الزائدة للنقد

والسخرية من قبل آبائه ومعلميه. ومن أهم مسببات هذا القلق والخوف: الرغبة في كشف المجهول الذي يحيط به. وتختلف خصائص النمو الانفعالي لطفل مرحلة ما قبل المدرسة عن مراحل نموه السابقة، ويرجع هذا الاختلاف إلى عدة أمور منها:

- نوع المثيرات التي تثير انفعالات الطفل.
- أنماط تعبير الطفل واستجاباته عن هذه الانفعالات.
- خوف الطفل من الأصوات المرتفعة والظلام مقابل الخوف من المعلمين.
- التعبير بالصراخ أو تمزيق الأشياء والضرب على الأرض مقابل السخرية من الآخرين والتنابز ... الخ.

وتشير **الدراسات، في مجال النمو الانفعالي للطفل،** إلى أن الانفعالات تؤدي دورا هاما في حياة الطفل في مرحلة ما قبل المدرسة؛ حيث تتميز أنها قصيرة المدى وكثيرة، ومتقلبة، وحادة في شدتها. وتتميز هذه الانفعالات أيضا بأنها شديدة ومبالغ فيها (غضب شديد– حب – كراهية – غيرة ...) ويتركز الحب كله حول الوالدين وتظهر الانفعالات المتمركزة حول الذات (خجل – إحساسه بالذنب – ثقة – لوم ذات).

كما يرجع اتزان الطفل في التعبير عن انفعالاته إلى بعض الأمور منها:

- المناخ المدرسي: يتمثل في الأنظمة المدرسية، التزام الهدوء داخل الفصل، توجيهات المعلمين.
- الخبرة والتعلم: من خلال تعرف أن بعض السلوك مرفوض من قبل الوالدين والمعلمين وأن هناك استجابات تلقى القبول.

ومن أبرز خصائص نمو الطفل انفعاليا في هذه المرحلة الشعور بالقلق والخوف وما ينتاب الطفل من نوبات غضب، وإحساس بالغيرة، ومن أهم مسببات هذا القلق والخوف: الرغبة في كشف المجهول الذي يحيط به. وفى سن الخامسة يتكون نوع من الاستقرار في حياة الطفل الانفعالية نتيجة، للأمان والطمأنينة التي تسود علاقته بأمه، ومع ذلك فهو لا يزال عنيدا، ويستمر ذلك معه حتى نهاية المرحلة.

لعل أهم ما يميز **النمو الاجتماعي لطفل مرحلة ما قبل المدرسة** هو اتساع دائرة العلاقات الاجتماعية للطفل، وتنظيم عملية اللعب لديه **وتتلخص الخصائص الاجتماعية لطفل ما قبل المدرسة في النقاط التالية:**

- الود والتعاون ورغبة الطفل الصادقة في إسعاد من حوله، وتفضيل صحبة الأطفال الآخرين لكونه في حاجة إلى رفاق في سنه.
- فهم الطفل للأدوار التي يقوم بها في محيطه الاجتماعي.
- ميل الطفل إلى منافسة الرفاق، ومحاولاته للتفوق عليهم.
- الإحساس بالزمالة.
- الولاء للمعلمة، والانتماء للجماعة.
- يستمتع الأطفال باللعب الدراسي، والتمثيل واللعب الجماعي.
- يحب الطفل الألعاب المنظمة ذات القواعد.
- قد ينشأ صراع بين الأطفال أثناء اللعب؛ نتيجة لأن اهتمامات الأطفال بدأت تشمل الآخرين بدلا من التركيز على نفسه فقط.

ويذكر "حامد زهران " أن عملية التنشئة الاجتماعية في الأسرة تستمر، ويزداد وعى الطفل بالبيئة الاجتماعية، وتنمو الألفة، وتزداد المشاركة الاجتماعية، وتتسع دائرة العلاقات والتفاعل الاجتماعي في الأسرة ومع جماعة الرفاق".

"إن الأطفال الذين يعيشون بصحبة الكبار، إنما يظهرون نضجا ممتازا في الكلام والتفكير، على عكس الأطفال الذين يعيشون في أسر مغلقة، ويحرمون من هذه التجربة الاجتماعية الضرورية"

مكارثي

4- خصائص النمو العقلي المعرفي

إن المخ الإنساني لا يتطور بالكامل دفعة واحدة، بل ينمو لدى الإنسان تدريجياً حتى يصل لمرحلة المراهقة المتأخرة، أو أحياناً، إلى مرحلة البلوغ.

كما يتميز الطفل في المراحل المبكرة من عمره، بتأثره بالبيئة المحيطة به، والتي تبدأ من فترة الحمل، حيث أثبت العلماء والباحثين أن وصول كمية من الأكسجين إلى مخ الجنين يعتمد على مدى الراحة الجسمية للأم الحامل وأن الإرهاق للأم الحامل يعوق من وصول الأكسجين إلى مخ الجنين وبالتالي يتنبأ الأطباء نتيجة ذلك بالتخلف العقلي للطفل وهذا يدل على هبوط في نسبة الذكاء عنده عن النسبة الواجب توافرها في حال توافر الشروط الصحية اللازمة للنمو العقلي.

وفي ضوء ما سبق، فالنمو العقلي للطفل في هذه المرحلة من حياته، يتأثر بما يتبع من ممارسات تربوية وما يتوافر في بيئته من عناصر ومثيرات البيئة، التي تمثل له كل شيء، فكلما توافرت المثيرات الايجابية والخبرات السليمة والألعاب التربوية الهادفة والذهنية التي تعمل على تفعيل عملية التفكير وما يصاحبها من المشكلات والتحديات التي تعترض تفكيره كلما ساعد ذلك على تفاعله وزيادة نمو الذكاء وقدراته العقلية بشكل أفضل.

ومما لا شك فيه، فالممارسات التربوية الخاطئة التي يتعرض لها الطفل في المراحل المبكرة تؤثر على ذكاؤه، والتي تكون نتيجة للإفراط في تدليل الطفل والمبالغة في حمايته لأن هناك علاقة قوية بين توافر المشكلات التي تتحدى ذكاء الطفل وبين نموه العقلي.

وتأسيا على ما سبق، فالأسرة التي تبالغ في توفير الحماية الكاملة والحرص على تدليله

وجعله كامل الاعتماد عليها في كل متطلباته وحاجاته وإشباعها دون منحه فرصة للتدرب على الحصول على هذه الحاجات فإنه يتعرض لإعاقة في نموه العقلي لعدم تعرضه وتفاعله مع المشكلات للوصول إلى حلول مرضية له.

فمن الأمور التي تعترض النمو العقلي للطفل حرمانه من التدريب على إطعام نفسه بنفسه أو ارتداء ملابسه بمفرده وقيام الأسرة بكل متطلباته اليومية خوفا عليه أو مبالغة في راحته، مما يؤدي إلى التأثر السلبي في نموه العقلي الذي يعتمد على الخبرات التي تشحذ الذهن وتدفعه إلى التفكير وبالتالي إلى النمو والذكاء.

بالإضافة إلى حجم الأسرة وعددها له علاقة قوية بذكاء الطفل فعندما تتساوى أسرتان في جميع العوامل التي تؤثر في تحديد مستوى ذكاء الطفل فإن درجة ذكاء الأطفال في الأسر قليلة العدد تكون أعلى درجة من ذكاء الأطفال الأكبر عدداً والسبب أن الوالدين عندهم فرصة أكبر للتفاعل مع أطفالهم والإجابة على أسئلتهم وتوجيههم مما يساعد على شحذ وتنمية ذكائهم إلى أقصى حد ممكن.

والجدير بالذكر أننا غالباً ما نتوقع من الأطفال أن يفكروا مثلما يفكر البالغون وذلك عندما نلاحظ أحياناً عدم مقدرتهم على إتمام عمل ما، لذا من الضروري للوالدين أن يعرفوا ما الذي يتوقع من طفليهما عمله وفقاً لمرحلة نموه العقلي وبالتالي يتأكد الوالدين من أن توقعاتهم عن مقدرة طفليهما المعرفية تُعد واقعية وليست مستحيلة.

ومما لا شك فيه، تعد مرحلة ما قبل المدرسة مرحلة حاسمة في حياة الطفل العقلية باعتبارها مرحلة الأساس والتكوين في بناء الإنسان الصالح في جميع أبعاد نموه الأساسية حيث يوضح فيها الأساس القوى لشخصية الفرد، وسلوكه في جميع النواحي.

وبالتالي يمكن تلخيص أهم الخصائص العقلية والمعرفية لطفل هذه المرحلة في الآتي:

- قدرة الطفل على حل المشكلات، وأداء بعض المهام البسيطة، وهذا قد يساعد الوالدين والمحيطين بالطفل في استغلال هذه القدرة في محاولة الإجابة عن بعض التساؤلات.

- الفضول والاستقصاء المستمر للوصول إلى الحقائق، وهذا بدوره يدفع الطفل إلى سيل متدفق من الأسئلة يوجهها إلى المحيطين به ليشبع حب الاستطلاع الذي يمكنه من الوصول للحقائق التي يسعى لمعرفتها.
- اكتشاف الطفل لبعض خصائص الأشياء، واتساع مجال إدراكه الحسي، ويستطيع الطفل في هذه المرحلة تكوين المعاني، ثم تتسع قدرته على تكوين المعاني والمفاهيم اتساعا سريعا.
- تكوين المفاهيم، لدى الطفل، مثل مفاهيم: الزمان والمكان والعد، ويطرد نمو الذكاء لديه، وتزداد قدرته على الفهم، وعلى تركيز انتباهه، ويكون تفكيره ذاتيا. إلا أن هذا التفكير يظل خياليا وليس منطقيا حتى يبلغ الطفل سن السادسة.
- على الرغم من زيادة طول فترة التركيز في سن الخامسة إلا أنها تكون محدودة بعنصر أو عنصرين فقط.
- يزداد التذكر المباشر لدى طفل ما قبل المدرسة، فيتذكر طفل الثالثة مثلا ثلاثة أرقام، وطفل الرابعة والنصف يتذكر أربعة أرقام، ويكون تذكر الكلمات والعبارات المفهومة أيسر من تذكر الغامضة منها، ويستطيع الطفل تذكر الأجزاء الناقصة في الصورة وتنمو القدرة على الحفظ وترديد الأغاني والأناشيد وبخاصة الذاكرة البصرية والسمعية، لتصل الذاكرة إلى ما يسمى "بالعصر الذهبي للذاكرة" في نهاية هذه المرحلة.
- تنمو قدرة الطفل على فهم كثير من المعلومات البسيطة وكيف تسير بعض الأمور التي يهتم بها، وقدرته على التعلم من المحاولة والخطأ بسبب ظهور دوافع الاستطلاع لمعرفة الأشياء والأشخاص والمواقف. وهكذا يؤثر النمو العقلي للطفل بكل مظاهره السابقة في جعل الطفل في حالة نشاط عقلي دائم، فهو يحاول كشف العالم من حوله لذلك يبدو شغوفا بتوجيه الأسئلة الدائمة عن كل شيء للكبار من حوله، كما أن أسئلة الطفل تزداد بالطبع مع زيادة نضجه العقلي، ولا شك أن الإجابات التي يحصل عليها الأطفال من آبائهم، يكون لها أهمية كبرى لا من حيث النمو المعرفي فحسب، بل أيضا من حيث الاتزان الانفعالي، ونمو شخصية القائد الصغير.

ثانيا: دور الأسرة في تحقيق التربية المتكاملة للقائد الصفير

1- دور الأسرة في تحقيق التربية الدينية والخلقية للقائد الصغير

يتم تربية القائد الصغير على تحرير وجدانه وتحمله التبعة حتى يكون عبدًا خالصًا لله وحده، يتجرد للإله الخالق المعبود، ويستعلى بنفسه عما سواه، فلا حاجة للمخلوق إلا لدى خالقه، الذي له الكمال المطلق، ومنه يمنح الخير للخلائق كلها، إنه خالق واحد وإله واحد، لا أول له ولا آخر، قدير على كل شيء، عليم بكل شيء، محيط بكل شيء، وليس كمثله شيء.

ويمكن بيان دور الأسرة في تحقيق التربية الدينية والخلقية للقائد الصغير من خلال:

- مساعدة الطفل على تأكيد عقيدة الإيمان بالله عز وجل بكافة الطرق المناسبة بالكلمة الحانية والسلوك القويم والقصة الهادفة الملتزمة.
- مساعدة الطفل في تمثل القيم والحقائق والمبادئ وإمداده بالخبرات الاجتماعية المثيرة له والتي تضيف على خبرته قيمًا وحقائق جديدة.
- مساعدة الطفل على توضيح وترجمة قيمه واتجاهاته ومشاعره وآرائه التي تمثلها ومشكلاته الخاصة وتوجيهه لحلها.
- تهيئة المناخ المناسب المساعد على اكتساب القيم عن طريق تهيئة المجال للاقتراح والتخطيط ومزاولة الأنشطة الهامة، وتوجيه انتباه الطفل إلى ما يجب فعله في المواقف المختلفة.
- احترام ذاتية الطفل وتقدير ما ينتوي فعله وقدرته على الأداء واحترام أسئلته عن عالمه والإجابة عليها، والعدل بين الأطفال والمساواة بينهم وتعويدهم الآداب الاجتماعية والأخلاق بالممارسة العملية وليس عن طريق الكلام وإلقاء الأوامر.
- تعويد الطفل على السيطرة على بيئته والتعامل معها برفق من خلال المحاولة والخطأ وتعليمه الواقع المحيط به ومدى حاجته للتفاعل الجاد معه وتقبل الأفكار الجديدة من الطفل واحترام حبه للاستطلاع.

2- دور الأسرة في تحقيق التربية الجسمية للقائد الصغير:

فمن الملاحظ أن الأسرة توفر للطفل المأكل والمشرب والمسكن وفيها ينمو جسمه ويترتب على الوالدين أن يلما بقواعد الصحة وقاية وعلاجًا فطبيب الأسرة وحده لا يستطيع أن يؤمن صحة الولد دون معاونة والديه، وكثير من أولياء الأمور يجهلون أصول العناية بصحة أولادهم، فهم يتركون أمرها للطبيعة أو يلجئون إلى أساليب خرافية لا تليق بهم، فينشأ عن ذلك تأخر في الصحة العامة.

فعن رسول الله ﷺ أنه قال: "إن لربك عليك حقًا، وإن لبدنك عليك حقًا، وإن لأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه"، وحق البدن ورد بعد حق الرب، وله نصيب كبير في الاهتمام والرعاية والتربية، وتربية البدن وتقويته والعناية به تمنح الطفل الإرادة والعزيمة والقوة.

لذا يظهر دور الأسرة في الحفاظ على التربية الجسمية للقائد الصغير من خلال ما يلي:

- الحرص على نموه الجسمي من الناحية التكوينية والوظيفية، وعلى تحقيق الصحة البدنية المناسبة.
- تعويده على إتباع الطرق المناسبة في تناول الطعام والشراب والملائمة من حيث الكمية والنوعية.
- تحذيره من بعض الأطعمة التي تضر بالجسم والصحة بهدف حمايته ورعايته.
- الحرص على بقائه بصحة جيدة ونفسية سوية عن طريق تهيئة الطعام والشراب له.
- تعويده على إشباع حاجاته من الطعام والشراب بقدر الحاجة دون إسراف أو تبذير تجنبا للتخمة التي تضر بصحته.
- منحه الأجواء المناسبة والكافية من النوم، وتعويده على النوم المبكر. وتعويده على النوم على الجانب الأيمن لئلا يضرب القلب ويعيق التنفس.
- تعويده من الصغر على نظافة جسمه وثيابه وبيئته. وتعليمه المبادئ الأساسية للصحة الشخصية.

- أن تقوم الأسرة بتربية الطفل على العلاج والوقاية، ليحقق لنفسه بناءً سليما.
- تربية الطفل على ممارسة الألعاب الرياضية التي تتناسب مع عمره، لتنمي مهاراته وتظهر إبداعاته وتقوي عضلاته ليكتمل البناء الجسمي والحركي معاً.

وخلاصة القول أنه كلما اعتمدت ألعاب الطفل على مواد أولية يقوم هو وأقرانه بتشكيلها وتركيبها، كان لذلك عظيم الأثر في قدرته الإبداعية، لأنها تترافق عندئذ بأهمية الفعل لا مجرد الملكية، وهذا هو الدور المطلوب من الأسرة.

3- دور الأسرة في تحقيق التربية الفكرية والعقلية للقائد الصغير:

يتعلم الطفل في المنزل اللغة والتعبير ومن هذا الطريق تنتقل إليه أفكار الكبار من أفراد أسرته وآراؤهم، وهو يسمع منهم إجابات على أسئلته المتلاحقة فمنها ما تكون معقولة ومناسبة تساعده على التفكير وتشحذ ذهنه على البحث ومنها ما تكون مضللة تدعوه للإحباط والتشويش الفكري، مثل القصص والحكايات والخرافات التي تنتقل للطفل باللغة وهو جالس يسمع الكبار، تؤثر على الناحية اللغوية لديه.

ويقع على الأسرة دور كبير في اختيار الكتاب المناسب للقائد الصغير لجذبه إلى القراءة، وينبغي أن تزوده الأسرة وهو في حدود السابعة من عمره بالقصص والحكايات المبسطة، فقصص البطولات وهو في سن الثامنة، فالكتب العلمية المناسبة وهو في سن التاسعة، وذلك بشكل يتداخل فيه التوجيه السلوكي بالفكري والمعرفي، ويتم تدرجه في عالم القراءة الواسع مع نضجه، ويجب على الأسرة مراقبة ما يقرأه الطفل وإبعاده عن الكتب والمجلات التافهة في مضمونها، لتأثره الكبير في هذه المرحلة من عمره بما يتم نقله إليه من معلومات.

وفي ضوء ما سبق، يمكن إبراز دور الأسرة في تحقيق التربية العقلية للقائد الصغير من خلال ما يلي:

- توفير المثيرات الواسعة والمتنوعة للطفل ليتمكن من البحث والتساؤل والفحص، لممارسة خبراته الحسية والحركية.

- توسيع بيئته من خلال الزيارات والرحلات والنزهات، وإفساح المجال له بالمشاركة الاجتماعية.
- تشجيعه على حب العلم والتعلم وتنمية قدراته العقلية، بالإضافة إلى تعليمه مبادئ السلوك الإنساني واللغة.
- توفير الألعاب التربوية له، وتعليمه كيفية استخدامها، سواء كانت صناعية أو من البيئة.
- إشعاره بالحب والحنان والعطف مما يساعد على تفتح مداركه وقدراته العقلية الكامنة لتنمو نموا طبيعياً.
- تحفيزه وعدم إحباطه عند وجود رغبة في القيام ببعض الأعمال، وتعويده على تكرار المحاولات أكثر من مرة.
- احترام الأسرة لميوله وتقدير مشاعره وميوله وتنمية مواهبه كرسم بعض صور النبات أو الحيوانات أو بعض الأشياء من هذا القبيل.
- تحفيظه الأناشيد وتنمية ذاكرته، من خلال ترديد الأغاني والأناشيد والقصص، والإكثار من التساؤلات.
- تعويده على ممارسة عملية التفكير غير المقيدة، من خلال إشراكه وتفاعله مع الآخرين والاستماع إلى آرائهم باستخدام الأسئلة المفتوحة، واستخدام التفكير المستقل من خلال توجيهه لمعرفة أجوبة خاصة.
- تشجيع الطفل على ممارسة العمليات العقلية، كالمقارنة والقياس والتمييز بين الأشياء.

4- دور الأسرة في تحقيق التربية الاجتماعية والنفسية للقائد الصغير

إذا كانت التربية عملية اجتماعية، من حيث طبيعتها وأهدافها ومضمونها، فإن أساليب التربية الاجتماعية في الأسرة تكتسب أهمية كبيرة لتربية الأبناء وفق منظومة القيم الاجتماعية، بما تتضمنه من معايير وقوانين وأنظمة تحدد العلاقات بين أبناء المجتمع، والتي يجب أن تترجمها الأسرة أمام الأبناء في علاقاتها الداخلية والخارجية، باعتبارها

المؤسسة الاجتماعية الأولى التي يولد فيها الطفل، ويعيش فيها مرحلة طويلة ريثما يستطيع الاعتماد على ذاته.

وهكذا، فالطفل الذي يعيش في كنف أبوين صالحين، يمتلك تربة مساعدة لنموّ الصفات الخيّرة في نفسه. ولكن إذا ترك في بيئة فاسدة منذ الصغر، أو عهد بتربيته إلى أفراد من ذوى الأخلاق المنحرفة، فإنّ النتيجة التربوية تكشف عن شخصية غير متّزنة، أو عن إنسان منحرف. وعلى النقيض من ذلك، فإنّ الأطفال الذين يولدون من والدين منحرفين، كلاهما أو أحدهما، فمن الممكن أن ينشئوا على الفضيلة والأخلاق الحميدة، فيما إذا وضعوا بعهدة مربّين صالحين، وأحيطوا بأجواء تربوية سلوكية مليئة بالحبّ والخير والصلاح. وهذا ما تركّز عليه النظرية (السلوكية) في التربية.

وتأسيساً على ما تقدّم، يرى علماء التربية المعاصرون، أنّ التربية أصبحت فنّ صناعة الإنسان، باعتبارها تشكّل عاملاً قويّاً جدّاً يمكنه أن يوقف عمل الخواص الوراثية السيئة، أو بعضها بنسبة كبيرة، وإن كان ذلك يخضع لتفاوت الخصوصيات الفطرية / الوراثية عند الأطفال.

وهذا يعني – في إطاره العام– أنّ الممارسات التربوية السليمة، ومنذ مراحل الطفولة المبكرة، تمتلك درجة عالية من التأثير، بحيث تتغلّب في أحيان كثيرة على بعض الصفات الوراثية، وتحدث وضعاً خاصاً يؤثّر في تكوين نماذج الأفراد وسلوكياتهم ومواقفهم الحياتية، وهذا يلقي بالتالي مسؤوليات كبيرة على الأسرة، وعلى المؤسّسات التربوية الأخرى، المعنية بتنشئة الطفل القائد وإعداده للحياة الفاعلة.

هناك العديد من الدراسات الاجتماعية والبحوث التربوية، التي تناولت دور الأسرة التربوي والاجتماعي، ومدى فاعلية هذه الدور في تكوين الملامح الشخصية للأبناء، والتي توصلت إلى: (باسمة حلاوة، 2011):

- وجود علاقة ارتباط قوية بين الرعاية الوالدية التي تتسم بالدفء والعاطفة، وكفاءة الأطفال الاجتماعية. وكذلك علاقة موجبة بين المستوى التعليمي للوالدين وقدرة الطفل على التفاعل الإيجابي مع أفراد أسرته وأقرانه.

- عدم وجود علاقة دالّة إحصائياً، بين سلطة الأب أو الأم والميول القيادية عند الطفل أو علاقته بأقرانه. بينما أظهرت أن كثيراً من الوالدين يجهلون الأساليب التربوية التي تنمي الميول القيادية عند الأطفال.
- وجود ارتباط إيجابي بين أساليب التنشئة الاجتماعية الوالدية وسمتي (القلق والعدوان) بينما كان الارتباط سلبياً بين هذه الأساليب وسمتي (المشاركة الاجتماعية والمثابرة). كما أظهرت الدراسة عدم وجود فروق دالّة إحصائياً بين إدراك الآباء والأمهات أساليب التنشئة الوالدية، في سمتي (العدوان والمثابرة).
- وجود علاقة ارتباط إيجابية بين أساليب المعاملة الوالدية والمستوى التعليمي المتوسط والعالي للوالدين، من جهة، ودرجة توافق الأطفال الاجتماعي والشخصي، في الروضة من جهة أخرى .ووجود فروق بين مستويات دخل الأسرة (المتدّني، المتوسط، والعالي) حول هذا التوافق.
- أن التربية الأسرية لها دور في بناء منظومة القيم الاجتماعية" على أساليب التعامل الاجتماعي في الأسرة لبناء منظومة هذه القيم ومنها الأسلوب الديمقراطي، والعدالة بين الأبناء، والتعاون الأسري، وترك حرية الاختيار للأبناء، والاعتماد على الذات.
- أن الإدارة الوالدية الجيدة التي تتسم بالدفء والضبط، لها تأثير إيجابي في كفاءة الأطفال الاجتماعية.وينمي لديهم الاستقلالية وتحسين الانجاز.

وتأسيسا على ما سبق، تكتسب العلاقات الانفعالية / الاجتماعية التي تربط الطفل بأسرته، أهمية خاصة في تحديد معالم شخصيته الاجتماعية، وفق المعايير والقيم السائدة في المجتمع .وهذا يتطّلب إحاطة الطفل بالرعاية والحب، والتعامل معه بسلوك اجتماعي سليم، بما يحّقق النمو الإيجابي والتوافق في عملية الضبط الاجتماعي في السلوك الداخلي والخارجي .لأن عملية النمو الاجتماعي عملية معّقدة، متشابكة، ومستمرة، محورها الرئيس هو الشخص نفسه، وتأهيله لخوض الحياة في المجتمع.

ومما لا شك فيه، إن النظام الأخلاقي / الاجتماعي عند الإنسان، يستمد أصوله وقيمه من النشاطات والممارسات السلوكية التي يعيشها في مراحل طفولته، ولاسيما في

السنوات الأولى، حيث يقوم الوالدان بتوجيهه إلى معايير السلوك الصحيح والالتزام بها، فيتعّلم ما هو الصواب وما هو الخطأ في سلوكه، ويكتسب بالتدريج القدرة على تنظيم سلوكه وفي المعايير المقبولة اجتماعياً.

وفي ضوء ما سبق، يمكن إبراز دور الأسرة في تحقيق التربية الاجتماعية والنفسية للقائد الصغير من خلال ما يلي:

توفير الجو النفسي /الاجتماعي، وإشباع حاجات الطفل إلى التقبل والرعاية والحب والاحترام، مما يسهل عملية النمو السوي للشخصية.

الاهتمام بتقوية العلاقة بين الوالدين والطفل، وتنمية الضبط الذاتي والتوجيه الشخصي للسلوك. وتعويده رؤية الأغراب ومجالستهم.

- العمل على تنمية الضمير والسلوك الخلقي عند الطفل، وتنمية ثقته بنفسه وتشجيعه على تحمل المسؤولية.
- الابتعاد عن أساليب التسّلط والسيطرة والقهر، مقابل الثبات والاستقرار في معاملة الطفل. وبذلك تتطور قدرة الطفل على التواصل الاجتماعي يوماً بعد يوم، حيث يتطور نموه العقلي والفسيولوجي، مع تطور نموه الاجتماعي عن طريق التواصل الاجتماعي، سواء بالحوار مع الأطفال أم باللعب معهم؛ فالنمو الاجتماعي مصاحب لأشكال النمو الأخرى، وهو بالتالي عامل مهم في عملية تنمية شخصية الطفل القائد، وتوازنها وتكاملها.

فالطفل يتقبل كلّ جديد، ويقّلد الكبار ويتمّنى أن يكون مثلهم، فتراه يلعب دور الأب/ الأم، أو الشرطي، أو الطبيب، أو المعّلم ..وغيرها من الأدوار التي يتعرف العالم الاجتماعي من خلالها. ولكن تبقى دائرة الطفل الاجتماعية الأساسية في مجال الأسرة، حيث يميل أحياناً إلى الاستقلالية والاعتماد على الذات، وأحياناً أخرى يلجأ إلى الاعتماد على الآخرين. وما بين هذا وذاك يبرز **دور البيئة الأسرية في بلورة النمو الاجتماعي للطفل القائد، وتأهيله للحياة الاجتماعية الواسعة.**

ومما تجد الإشارة إليه أن تقدير الذات الإيجابية مرتبطة بقدرات الفرد وإمكانياته ومهاراته من جهة ومن جهة ومن جهة أخرى أن الثقة بالنفس العالية والقدرة على اكتساب القيمة العالية. كما أن الوعي بذاته وتقيمه تعد اللبنة الأولى نحو الفهم الإيجابي وتغير السلوك نحو الأفضل هذا وأن من العوامل المهمة لتعزيز تقدير الذات هو نمو العلاقات الاجتماعية والدور السلوكي للأفراد وهذا بدوره يعطي تغذية راجعة للفرد راجعة للفرد نفسه من أجل تعديل سلوكه نحو الأفضل.

اتساق الشخصية

صاغ علماء النفس مفهوم الشخصية وحددوا معناها في مجموع الخصائص النفسية والعقلية والجسمانية التي تكون الفرد، وبخاصة كما يراه الآخرون، هذه الخصائص يربط بينها تنظيم داخلي ديناميكي للدوافع والانفعالات والإدراك والتذكر، تتجلى في عادات واهتمامات نحو قيم وسمات عامة، تحدد في النهاية مميزاته عن غيره من الأفراد.

فالشخصية ليست مجرد صفات، بل هي وحدتها الديناميكية، وتماسكها وانسجامها، أي التنظيم الذي يحكم هذه الصفات.

وللشخصية جانب ذاتي، وهو شعور الفرد بذاته، ويتكون تدريجيا عبر ثلاث مراحل، أولها الشعور بالذات الجسمية، ثم الذات النفسية، فالذات الاجتماعية، وجانب موضوعي يتألف من مجموعة السمات التي تتيح للفرد أن يسلك إزاء الآخرين سلوكًا موسومًا بطابعه، وتسمح اختبارات الشخصية بتقدير هذه السمات.

ويميز علماء النفس عادة بين نموذجين من الشخصية:

- **النموذج الانطوائي**، وفيه تتجه اهتمامات المرء نحو الذات والخبرات الذاتية أكثر مما تتجه إلى ما هو خارج عن الذات، وتتميز الشخصية الانطوائية بالانكفاء على النفس، واجتناب الاتصال بالناس، والحذر من الغرباء، وعدم المشاركة في النشاطات الاجتماعية.
- **والنموذج الانبساطي**، وفيه تتجه اهتمامات المرء إلى ما هو خارج عن الذات بأكثر مما

تتجه نحو الذات والخبرات الذاتية، وتتميز الشخصية الانبساطية بالدينامكية المنتجة، وبالنزوع إلى الاختلاط بالناس، والمشاركة في النشاطات الاجتماعية.

لذا يوجد بين الانبساط والانطواء فرق شاسع، وقد يكون المرء انبساطيا أو انطوائيا، وهو أمر طبيعي ومقبول ما دام في حدود السواء، أما إذا اشتدت انطوائيته إلى حد مقاطعة غيره، أو انبساطيته إلى حد إهمال ذاته، فإن الأمر يصبح ضارا به وبغيره، ويؤدي لشخصية غير سوية تفتقد الاتساق.

وتأسيسا على ما سبق، فاتساق الشخصية يعني تكامل عناصرها، بالحد من التضارب بين دوافع وبواعث الفرد وقيمه، حتى تتحقق وحدة الشخصية بانسجام المواقف العقلية والانفعالية، والاستجابات السلوكية الصادرة عنها، ويلعب التفاعل الاجتماعي دورًا هاما في تحقيقها.

وعليه، فالتفاعل الاجتماعي علاقة متبادلة بين طرفين أو أكثر، تقوم على تقارب الأطراف وتفاهمها، وبفضله يسلك الأفراد آخذين في الاعتبار أعمال الآخرين ونواياهم وأفكارهم وطبيعتهم، كما أنه يؤدي إلى نمو العلاقات الاجتماعية فالعلاقات الاجتماعية في معظم الأحيان تتضمن التفاعل، ومن ثم يصبح التفاعل أصل العلاقة؛ فهو يأتي على الدوام بدرجة معينة من الاكتساب والتعاون، بينما ينطوي الانعزال على درجة الصفر في منظور التفاعل الاجتماعي.

كما تحظى الحياة الجماعية بأهمية خاصة، فقد روي عن رسول الله ﷺ قوله: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم» (رواه أحمد).

ومن هنا يتضح أن العلاقات الشخصية المتبادلة هي القنوات الواصلة للروابط والوشائج والعواطف التي تربط بين الأفراد، سواء أفراد الأسرة، أو الأقران، أو رفاق الحي. والتفاعلات والعلاقات تكون متينة قوية كلما كان الفرد قادرًا على تعرف احتياجات غيره، مع الإدراك المسبق لردود فعلهم المتوقعة من مواقفه أو استجاباته السلوكية نحوهم، ولما يحبونه أو يكرهونه منها.

إلا أن التفاعل الاجتماعي في مجتمعنا يواجه عوائق، ناشئة في الغالب عن أساليب التربية الخاطئة التي يستخدمها الوالدان، دافعهما الحرص على حماية الطفل، والتدخل في علاقاته مع غيره، نتيجة جهلهما بطبيعة الطفولة، وبمتطلبات النمو الاجتماعي الأمر الذي يوقعهما في أخطاء تربوية، ففضلًا عن سلوك اتجاهات تربوية خاطئة، كالتدليل أو الحماية الزائدة أو التسلط أو الإهمال أو غيره، فإن استجابات تصدر عن الوالدين أحيانًا- في مواجهة بعض المواقف الطفولية - تنتج عنها تأثيرات سلبية، يكون لها وقع سيئ على تفاعل الطفل ونموه الاجتماعي ثم شخصيته.

معيقات التربية الاجتماعية للقائد الصغير

غالبًا ما يحظى النمو البدني للطفل بتتبع الوالدين، وقد ينتبهان لنموه العقلي أو اللغوي، أما النمو الاجتماعي فيتم التغافل عنه إلا في النادر، بحيث يترك أمر هذا النمو للظروف تصنع به ما تشاء. والطفل في حالة نمو اجتماعي منذ ولادته، بحيث يبدأ تفاعله مع المحيطين به، منذ أيامه الأولى، بطرق وأساليب تتطور وتنضج مع تقدمه في العمر، فسواء كان الطفل منفتحًا على الآخرين، أم ملتزمًا جانب الحذر في علاقاته بغيره، فإنه يرتبط بعلاقات مع الآخرين، بدءًا من والديه وإخوته، ثم أقاربه، فجيرانه وأصدقائه.

كما أن هذا الأمر التفت إليه المربون منذ القدم، فكانوا يحبذون التعليم الجمعي على التعليم الفردي، مبرزين مزاياه النفسية والاجتماعية وأهميته لنمو الأطفال، ومن هؤلاء المربين ابن سينا الذي يقول في إحدى رسائله التربوية: "الصبي عن الصبي ألقن وهو عنه آخذ و به آنس "، ثم يحادث الصبيان والمحادثة تفيد انشراح العقل وتحل منعقد الفهم، وفي ذلك تهذيب لأخلاقهم وتحريك لهممهم وتمرين لعاداتهم.

وبناء على ما سبق، فإن هذا التفاعل الاجتماعي يكسب الطفل طباعًا جديدة، ويهذب أنانيته، ويعلمه الاعتماد على النفس في خاصة أموره. وإذا حدث أن أحد أصدقائه لم يلب له حاجته فإنه يستغني عنه فورًا، فعلاقات الأطفال بعضهم البعض لا يمكن أن تكون صافية تمامًا، واشتراك الأطفال في اللعب لا يخلو من الشجار لسبب أو لآخر، فالشجار بين الأطفال يمثل وجهًا من أوجه الجهود التي يبذلونها للتوصل إلى التصرف الصحيح.

ولذا فعلى الوالدين أن يقفا محايدين في مواجهة الخصومات، وألا ينتصرا لطفلهما، لأن هذا الخصام لا يدعو للقلق، بل هو ضرورة من ضرورات النمو، ثم إن المشاجرات في هذه المرحلة تكون قصيرة الأمد، ولا تترك آثارًا في نفسية الأطفال، والنزاع في حد ذاته يعلم الطفل كيف يحل مشكلاته فيما بعد، فهو ينمي مهارات التصرف لديه؛ وأسوأ ما قد يصدر عن الوالدين في مواجهة مثل هذه الخصومات، هو أن يأمروا أبناءهم بمقابلة العنف الذي يستهدفهم من أقرانهم بعنف آخر، وأن يقتصّوا لأنفسهم بمثل ما تعرضوا له من سوء معاملة، متغافلين عن قيمة وأهمية سلوك الصفح والتسامح، ومساوئ الانتقام وتأثيره السيئ على نفسية الطفل وعواطفه وتفاعله الاجتماعي، فقد قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: 134] ، وروي عن رسول الله ﷺ قوله: «حرم على النار كل هينٍ لينٍ سهلٍ قريبٍ من الناس» (رواه أحمد).

كما قد يلاحظ الوالدان أحيانًا وباستغراب، أن أطفالهما- خلال تفاعلهم مع غيرهم- تصدر عنهم استجابات سلوكية غير معتادة ولا متوقعة، وهذا أمر لا غرابة فيه، ولا ينبغي للوالدين التدخل لإجبار الطفل على ترك سلوكه الذي لا يتوقعانه؛ لأن الطفل يحرص في تفاصيل علاقته الاجتماعية أن يسلك بشكل يسهم في دمجه في جماعته، وانخراطه في أنشطتها، والابتعاد عن كل ما يجعله مختلفًا عن أفرادها، مثيرًا لسخريتهم أو استهجانهم، حتى لو استبدل عاداته وسلوكه.

الخلاصة

مما لا شك فيه أن التفاعل الاجتماعي بين أفراد الأسرة يؤدي إلى ظهور القيادات، كما أنه يؤدي إلى بروز الأطفال الذين يحظون بالمحبة، أو العدوانيين، أو الزعامات، ويحبذ بعض الآباء والأمهات أن يتولى أبناؤهم أدوارًا قيادية ضمن جماعات أقرانهم، وفي ظنهم أن ذلك خير لابنهم ومن مصلحته، ومبعث فخرهم، ويرفضون أن يخضع أبناؤهم لسلطة أو هيمنة طفل آخر يتزعم الجماعة، ويدفعون بالتالي أبناءهم إلى تولي زعامة المجموعة وقيادتها، ويتنافسون في ذلك ويتباهون، حتى ولو لم يكن الطفل راغبًا في أداء هذا الدور الذي لا يلائم ميوله.

فالاختلافات بين الأطفال تظهر خلال مراحل نموهم الاجتماعي من خلال تفاعلهم مع أقرانهم خاصة، وما ينبغي على الوالدين هو ملاحظة مؤشرات السلوك الضار كالعدوانية، والسلبية أو الاتكالية، والتصدي لها، ومساعدة الطفل على التخلص منها، فحين يظهر الطفل في عامه الثاني أو الثالث عنفًا مبالغًا فيه، أو إعراضًا عن اللعب مع أقرانه، فيجب الانتباه لحالته، وعرضها على المختص، أما السلوك القيادي أو الانقيادي داخل جماعة الأقران، فلا ضرر منه، ولا لزوم لإكراه الطفل على تبديله.

أما إذا غابت سمات الشخصية السوية، وكان الطفل انعزاليا أو غير مقدر لمسؤولياته، اتكاليا غير معتمد على ذاته التي لا يثق فيها، أو إذا اختلفت مواقفه وقيمه وأفعاله، وكان بأقواله مناقضًا لسيرته وأفعاله، كمن يضع أقنعة متعددة متناقضة، فذلك مؤشر لتربية خاطئة.

ولابد أن يتذكّر الآباء، أنّ العطف أطيب طعم لنفس الطفل، وأنّ الحبّ الأبوي / التربوي سبيله إلى الهدوء والأمن والاطمئنان والنموّ الاجتماعي السليم والنضج النفسي / الانفعالي السوي، الذي تظهر آثاره الإيجابية واضحة في النموّ العقلي ومظاهره في التفكير الصحيح، بعقلانية وموضوعية.